[136] ولا يسأمون من سهر ليلهم، ولا من ظمأ نهارهم، ولا من خمص بطونهم، حتى يدركوا بثأرهم، وينالوا بغيتهم ومطلبهم، فنزلت طائفة منكم معي معذرة (1)، ودخلت طائفة منكم المصر عاصية (2) فلا من نزل معي صبر فثبت، ولا من دخل المصر عاد إلي، ولقد نظرت إلى عسكري وما فيه معي منكم إلا خمسون رجلا، فلما رأيت ما أتيتم دخلت إليكم، فما قدرتم أن تخرجوا معي إلى يومكم هذا، ﷻ آباؤكم ! فما تنتظرون ؟ أما ترون إلى أطرافكم قد انتقصت، وإلى مصركم قد افتتح ؟ فما بالكم تؤفكون ! ألا إن القوم قد اجتمعوا وجدوا وتناصحوا، وإنكم تفرقتم واختلفتم وتغاششتم (3)، فأنتم إن اجتمعتم تسعدوا، فأيقظوا رحمكم ﷻ نائمكم، وتحرزوا لحرب عدوكم، إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء، ممن أسلم كرها، وكان لرسول ﷻ صلى ﷻ عليه وسلم حربا، أعداء السنة والقرآن، وأهل الاحزاب والبدع والاحداث، ومن كانت بوائقة (4) تتقي، وكان عن الدين منحرفا، وأكلة الرشا (5)، وعبيد الدنيا، لقد نمى إلى أن ابن الباغية (6) لم يبايع معاوية حتى شرط عليه أن يؤتيه أتاوة هي أعظم ما في يديه من سلطانه (7)، فصفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا ! وتربت يد هذا المشتري نصرة غادر فاسق بأموال الناس ! وإن منهم لمن شرب فيكم الحرام، وجلد حدا في الاسلام، فهؤلاء قادة القوم، ومن تركت ذكر مساويه منهم شر وأضر، وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لاظهروا فيكم الغضب والفخر. والتسلط بالجبروت، والتطاول بالغضب، والفساد في الارض، ولا تبعوا الهوى، وحكموا بالرشا، وأنتم على ما فيكم من تخاذل وتواكل خير منهم وأهدى سبيلا، فيكم الحكماء، والعلماء والفقهاء، وحملة القرآن، والمتهجدون بالاسحار، والعباد، والزهاد في الدنيا، وعمار المساجد، وأهل تلاوة القرآن، أفلا تسخطون وتنقمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم، والاراذل والاشرار منكم ! اسمعوا قولي إذا قلت، وأطيعوا أمرى إذا أمرت، واعرفوا نصيحتي إذا نصحت، واعتقدوا جزمي إذا جزمت، والتزموا عزمي إذا عزمت، وانهضوا لنهوضي، وقارعوا من قارعت، ولئن عصيتموني لا ترشدوا ولا تجتمعوا،

_____ (1) معذرة: بضم الميم وكسر الذال: أي قاطعة عذري في لومها وذمها. (2) المصر: المراد به هنا الكوفة. (3) غش بعضكم بعضا ولم يبذل له النصيحة. (4) بوائقه: مصائبه ونوائبه (5) الرشا: جمع رشوة. (6) يريد بابن الباغية: عمرو بن العاص. (7) هي مصر: التي طلبها عمرو بن العاص من معاوية ثمنا لمعاونته ومساعدته. (*) _____